المحاضرة العاشرة

الفنون النثرية المعاصرة (القصة)

توطئة: إنّ القصّ فن قديم قدم الإنسان وليس فنا مستحدثا كما يظن البعض، وارتباط القص بالإنسان منذ القدم يجد ضرورة لتطور فكره باعتباره نشاطا حميميا ينسج بواسطة الذات القادرة على وصل حركة التاريخ بين الماضي والحاضر والمستقبل تقول الدكتور نبيلة إبراهيم:

« ... إن القص مرتبط بقضية البحث عن الحقيقة التي يسعى الإنسان بها إلى اكتشافها في دروب الكون ومتاهات الحياة، والقص وسيلة لنقل الحقائق المتمثلة في أفعال الناس وعلاقة بعضهم ببعض من ناحية وعلاقاتهم بالقوى المتحكمة في حياتهم »(1)

1. **تعريف القصة لغة واصطلاحا:**

جاء في لسان العرب لابن منظور: (قال الليث القَصُّ فعل القاص إذا قصّ القصص ويقال: في رأسه قصة يعني: الجملة من الكلام ونحوه قوله تعالى: "نحن نقص عليك أحسن القصص"

ويقال: قصصت الشيء إذا تتبعت أثره شيئا بعد شيء ومنه قوله تعالى: « وقالت لأخته قصيه » أي تتبعي أثره

والقصة: الخبر وهو القصص وقصّ على خبره يقصه قصًّا وقصا

والقَصص: الخبر المقصوص بالفتح والقِصص بكسر القاف جمع القصة التي تكتب.

أما اصطلاحا فالقصة عبارة عن مجموعة من الأحداث، يرويها القاص وتتناول حادثة أو مجموعة من الحوادث، تتعلق بشخصيات إنسانية متباينة يؤكد هذه الحقيقة حنا الفاخوري بقوله: « هي سرد ذو تركيب معين تتحرك خلاله الشخصيات وتنمو الحوادث وتترابط العناصر القصصية على خطة مقصودة وتدبير محكم من خارج حياة القصة نفسها »(2)

---

(1) نبيلة إبراهيم: فن القص بين النظرية والتطبيق دار غريب للطباعة والنشر 1994 ص 3.

(2) حنا الفاخوري: الجديد في الأدب العربي دار الجيل بيروت لبنان ط 1 1986 ص 485.

ويميز النقاد بين القصة الفنية التي تهتم بالقضايا الجوهرية وبالتحليل الواقعي الهادف والدراسة المتأنية العميقة وبين القصة غير الفنية التي توضع أساسا للتسلية والترفيه عن النفس.

2- نشأة القصة العربية:

يتفق كل الدارسين، أن علاقة العرب بفن القص قديمة، إذ لا ينافسهم أي كان، فقد صاغوا من أشكال التعبير عن القص نحو: قال الراوي ويحكى أن وكان يا مكان ... الخ

أما إذا استطقنا التاريخ فسنجد أن العصر الجاهلي يزخر بعدة ملاحم دارت رحاها بين قبائل العرب كحرب البسوس وحرب داحس والغبراء وغيرها والتي تصلح أن تكون مصدرا للفن القصصي ولو في قالب شعر، وعند ظهور الإسلام، نجد أن القرآن الكريم، قد قص علينا حوالي خمسين قصة حتى سميت بعض السور باسم القصص. وفي العصر العباسي ازداد عدد محترفي فن القصة، من مؤلفين ومترجمين وجامعين، ووصل الكثير منها إلينا، فقرأنا كليلة ودمنة لابن المقفع والبخلاء للجاحظ ورسالة الغفران لأبي العلاء المعري، دون أن ننسى بعض الأعمال التي تحمل بعض القصص نحو كتاب المحاسن والمساوئ للبيهقي، وكتاب الأغاني للأصفهاني والعقد الفريد لابن عبد ربه، وهناك قصص يغلب عليها الطابع الفلسفي مثل: محاكمة الإنسان أمام الجن لبطشه بالحيوان لإخوان الصفا وخلان الوفا ورسالة الشبكة والطير لابن سينا ورسالة الطير لأبي حامد الغزالي وقصة حي بن يقضان لابن الطفيل، والمدينة الفاضلة للفارابي.

ما نستخلصه من هذا العرض لفن القصة قديما هي تلك الجذور التي تمتد وتتأصل من عصر إلى آخر، وهي متعددة الأشكال والألوان والأغراض حتى وإن لم تستكمل أدواتها الفنية التي نتمتع بها الآن.

3. الملامح الأولى لظهور القصة الفنية :

تعدّ قصة مغامرات تيليماك للكاتب الفرنسي فينيلون- التي عرّبها رفاعة رافع الطهطاوي، تحت عنوان "وقائع الأفلاك في حوادث تيليماك"- اللبنة الأولى التي وُضعت في بناء القصة العربية الحديثة رغم ما عترّاها من نقص يقول شوقي ضيف: « ولم يكن رفاعة مترجما فحسب بل كان مصورا للقصة واستمر هذا التصوير طويلا من بعد ... ربما كان عمل المنفلوطي في التصوير أوسع، فإنه لم يكن يعرف شيئا في اللغة الفرنسية، وإنما اعتمد على نفر قرأوا له بعض القصص، وحاول أن يؤدي ما سمعه منهم في اللغة العربية »[1]. وقد اتسمت قصص المنفلوطي بالترجمة السقيمة والاسترسال في أسلوب البديع والإكثار من تصوير الانفعالات العاطفية.

وتمثل لمرحلة التقليد برفاعة رافع الطهطاوي في ترجمته لقصة مغامرات تيليماك ومحمد عثمان جلال في ترجمته لبول وفرجيني لبيرناردي سان بيير بعنوان الأماني والمنة، وعلى رأس هؤلاء المترجمين مصطفى لطفي المنفلوطي في كتابه الفضيلة المترجم عن قصة بول وفرجيني وكذا ترجمة ماجدولين لألفونس كار، وقد اتصفت هذه القصص بالتشويه والسقامة وزخرف القول. وإن لقيت رواجا في عصرها.

كما نسج على منوال هؤلاء حافظ إبراهيم، في ترجمته لقصة البؤساء لفكتور هوجو، وقد استباح هؤلاء الكتاب لأنفسهم تغيير ما يشاؤون من مكان وزمان وشخصيات.

أما القصة التي عادت إلى التراث تستلهمه وتنسج على منواله فكانت معظمها في شكل مقامة، وأشهرها حديث عيسى بن هشام للمويلحي وفيها بطلان عيسى بن هشام والباشا، والتي عدّها النقاد فتحا جديدا في الأدب الروائي القصصي، في العصر الحديث قال علي أدهم: « وأحسب أنه لا امتراء في أن محمد المويلحي كان الرائد للروائيين المصريين الذين

---

① - شوقي ضيف : الأدب العربي المعاصر في مصر ص 209
دار المعارف القاهرة - مصر ط 10